التحولات الكبرى في التاريخ المعاصر في ظل الذكاء الاصطناعي

أ.د. سراب جبار خورشيد
الجامعة المستنصرية/ كلية الاداب

Major Transformations in Contemporary History in the Age of Artificial Intelligence

Prof. Dr. Sarab Jabbar Khursheed
Al-Mustansiriya University / College of Arts
Sarab_jabar@uomustansiriyah.edu.iq

ملخص
تعدُّ تقنية الذكاء الاصطناعي من أكثر التطورات التكنولوجية إثارة في العصر الحديث، حيث نجحت في تحويل العديد من المجالات مثل الرعاية الصحية، التعليم، الصناعات، والاقتصاد. ومع ذلك، يظل الذكاء الاصطناعي يواجه تحديات هائلة في مجالات تتطلب فهماً عميقًا ومعقدًا، مثل فهم التاريخ. فرغم التقدم الهائل الذي حققته الخوارزميات في معالجة البيانات وتحليل الأنماط، يبقى أن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث، بل هو دراسة ديناميكية متشابكة للإنسان والمجتمع.
الكلمات المفتاحية: تحولات، كبرى، تاريخ، ذكاء اصطناعي

Summary
Artificial intelligence (AI) is one of the most exciting technological developments of the modern era, having successfully transformed numerous fields such as healthcare, education, industry, and the economy. However, AI still faces formidable challenges in areas requiring deep and complex understanding, such as historical analysis. Despite the tremendous progress made in algorithms for data processing and pattern analysis, history remains more than just a narrative of events; it is a dynamic and intricate study of humanity and society .Keywords: transformations, major, history, artificial intelligence

المقدمة

يشهد العالم في التاريخ المعاصر مرحلة جديدة من التحولات الكبرى التي تتجاوز في عمقها الثورات السياسية والاقتصادية السابقة، حيث أصبح الذكاء الاصطناعي أحد أبرز العوامل المحركة للتاريخ في القرن الحادي والعشرين .وإذا كانت الثورات السابقة – مثل الثورة الصناعية - قد غيّرت أنماط الإنتاج والتواصل والمعرفة، فإن الذكاء الاصطناعي يمثل تحولاً نوعياً يطال مختلف المجالات ويعيد صياغة ملامح الحضارة الإنسانية.

فعلى الصعيد الاقتصادي، يساهم الذكاء الاصطناعي في إعادة تشكيل سوق العمل والإنتاجية، عبر الأتمتة والتصنيع الذكي وتحليل البيانات الضخمة .وهذا أدى إلى تحولات في الاقتصاد العالمي بانتقال الثقل نحو اقتصاد المعرفة والابتكار، مع بروز تحديات البطالة التقنية واتساع الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية .

أما على المستوى السياسي والاستراتيجي، فقد دخل الذكاء الاصطناعي في مجالات الأمن القومي والعلاقات الدولية، حيث طورت القوى الكبرى تقنيات حربية تعتمد على الأنظمة الذاتية والطائرات المسيرة وتحليل المعلومات الاستخباراتية .وأصبح التحكم في هذه التكنولوجيا أحد مظاهر القوة العالمية الجديدة، بما يفتح الباب أمام سباق تكنولوجي يشبه سباقات التسلح التقليدية.

وفي المجال الاجتماعي والثقافي، أحدث الذكاء الاصطناعي ثورة في أنماط التواصل والمعرفة عبر شبكات التواصل الاجتماعي، والترجمة الآلية، والتعليم الذكي، مما أدى إلى إعادة تشكيل وعي الأفراد وأنماط تفكيرهم .كما برزت قضايا أخلاقية تتعلق بالخصوصية والهوية والسيطرة على الخوارزميات .

المحور الاول :التحولات السياسية في ظل الذكاء الاصطناعي

شهد التاريخ المعاصر تحولات سياسية عميقة بدأت بالثورة الفرنسية عام 1789 التي مثلت انطلاقة الفكر الديمقراطي الحديث، وأسست لمبادئ الحرية والمساواة والمواطنة، وأدت إلى بروز القومية الأوروبية .تلتها الحروب النابليونية التي أعادت رسم خريطة أوروبا، وأسست لنظام دولي جديد .في القرن العشرين، كانت الحرب العالمية الأولى١٩١٤-١٩١٨نقطة تحول رئيسة أدت إلى انهيار الإمبراطوريات التقليدية، وصعود الولايات المتحدة كقوة اقتصادية وسياسية جديدة .أما الحرب العالمية الثانية١٩٣٩-١٩٤٥ فقد أعادت توزيع القوى الكبرى، وأسست الأمم المتحدة ونظام عالمي متعدد الأطراف، بينما فرضت الحرب الباردة ١٩٤٧-١٩٩١ تقسيم العالم إلى معسكرين، الشرقي والغربي، مما أثر بشكل مباشر على العلاقات الدولية والسياسة الداخلية للدول. [١]

كما أدت موجة الاستقلال والتحرر الوطني في إفريقيا وآسيا بعد الحرب العالمية الثانية إلى انهيار الاستعمار التقليدي، وظهور دول جديدة تسعى لتأكيد هويتها الوطنية والمشاركة في النظام الدولي .وتُظهر هذه التحولات أن السياسة المعاصرة تتشكل من تفاعل مستمر بين القوى الكبرى و الحركات الشعبية والتغيرات الداخلية للدول.[٢]

ولطالما مثَّل التطور التكنولوجي أحد أهم الأدوات التي تعيد ترتيب شكل العلاقات الدولية كونها تؤثر في تطوير قدرات الدول على إرغام الآخرين، وتعطي الدول صاحبة الريادة الأفضلية في إعادة ترتيب هرمية القوة الدولية وإعادة تنظيم الإجراءات والتنظيمات والقوانين التي تحكم العلاقة بين فواعل البيئة الدولية. لاسيما في اتخاذ قرار استخدام القوة؛ إذ تجري بحوث تنافسية بين الدول لإنتاج الأنظمة الذكية التي يعتد بها في مجال استخدام القوة العسكرية بدءًا من العمليات الميدانية التي يقوم بها الجنود، وصولًا لأسلحة الدمار الشامل.[٣]

ويعد هذا الأمر تغيير في قواعد اللعبة، حيث ارتبطت مكانة الدولة وقوتها بعدة عوامل أغلبها ذو طابع جيوبوليتيكي، كالمساحة، والموقع الجغرافي، وعدد السكان، والتضاريس، والموارد الطبيعية، والقوة الاقتصادية، والقوة العسكرية، وغيرها. أما اليوم، فإن تطبيقات الذكاء الاصطناعي اضافت بعدًا جديدًا يخرج بنا من الجيوبوليتيكي للقوة إلى الجيوتكنولوجي لها. الأمر الذي قد يقود نحو تدهور فاعلية وكفاءة المقاييس لإحلال السلام العالمي، لأنه يولِّد اتجاهين يضران بالاستقرار الدولي، الأول ،هو سعي الدول الرائدة في مجال الذكاء الاصطناعي لتعزيز قدراتها من خلال دمج أنظمة تسلحها بالذكاء الاصطناعي خوفًا من تفوق المنافسين الآخرين كما هي الحال اليوم في التنافس بين الولايات المتحدة الأميركية والصين. والاتجاه الآخر هو سعي الدول الطامحة الأقل قوة إلى تعويض النقص الحاصل لديها في الأنظمة العسكرية الفعالة من خلال الاعتماد على تطبيقات الذكاء الاصطناعي خاصة في المجال العسكري والاقتصادي كما هي الحال مع تركيا وإيران وغيرها.[٤]

ومن المتوقع أن يؤثر الذكاء الاصطناعي في البيئة الدولية من خلال عدة مداخل، أهمها: [٥]

- من المعلوم أن هناك جملة من الأسلحة ذاتية التشغيل تعمل بالذكاء الاصطناعي والتي تتصاعد عمليات تطويرها من قبل عدة دول مثل الطائرات بدون طيار والزوارق والطوربيدات والغواصات ذاتية التشغيل التي تتحكم بها الخوارزميات ومن غير المستبعد حدوث تحيز في الخوارزمية ومهاجمتها لأهداف غير التي صُمِّمت من أجلها أو إصابة مناطق سكانية أو إطلاق أسلحة دمار شامل.

- رفع مستوى المخاطر داخل الدول من خلال استخدامها في الهجمات السيبرانية لتخريب البنية التحتية مثل محطات الطاقة النووية وتحويل مسارات القطارات أو التحكم بإغلاق السدود أو التأثير على شبكات الطاقة الكهربائية.
- على الرغم من كون الدولة هي الفاعل الرئيسي في العلاقات الدولية وفي النظام الدولي، إلا أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي يمكن أن تحدث فارقًا بمقدار القوة ما بين الدولة وفاعلين جدد مثل الشركات متعددة الجنسيات لاسيما التكنولوجية منها فتدخُّل شركة سبيس إكس في الحرب الأوكرانية مكَّن القوات البحرية الأوكرانية من مهاجمة عدة أهداف بحرية روسية في أسطول البحر الأسود وإغراق بعض القطع منها بواسطة قوارب.

- ويسهم الذكاء الاصطناعي بتغيير فاعلية قوة الإرهاب من خلال استخدام هذه التطبيقات في شن هجمات أو الاستطلاع أو تخريب الاتصالات والبنية التحتية؛ مما يصعِّد تأثيرهم في البيئة الدولية وتصبح مسألة ملاحقتهم أكثر تعقيدًا.
- من المتوقع أن يمتد تأثير الذكاء الاصطناعي إلى إنتاج أسلحة الدمار الشامل فهو كما يمكن أن تسهم أنظمة التعلم العميق في تقديم تصاميم جديدة للأسلحة النووية، والأمر سيكون أكثر سهولة في الأسلحة الكيميائية والبيولوجية، فمن الممكن في هذه الحالة أن تتم كافة المراحل بدءًا من التصميم إلى التركيب في الأسلحة إلى إطلاقها على الأهداف المحددة بدون تدخل بشري من خلال الروبوتات والأسلحة ذاتية التشغيل.
- تتجه الأنظمة العسكرية والأمنية في القرن الواحد والعشرين إلى العمل بموجب الإدارة من خلال تطبيقات الذكاء الاصطناعي بشكل يؤدي إلى تغير طبيعة الحروب من خلال الاعتماد على الأسلحة المستقلة. ويدفع ذلك إلى اندلاع سباق تسلح مدفوعًا بالذكاء الاصطناعي بين أكثر من دولة لاسيما الولايات المتحدة والصين وروسيا والاتحاد الأوروبي والدول الطامحة إلى إعادة ترتيبها في هرمية القوة في النظام الدولي.

- من المتوقع أن يتم التوسع في إنتاج الأسلحة الروبوتية الفضائية ذاتية التشغيل بشكل يضمن تحييد القوى العسكرية في الميادين التقليدية الأخرى فهي تؤمِّن القيادة والسيطرة والرصد والاستطلاع والقدرة على خوض الحروب السيبرانية فضلًا عن إطلاق النار وتدمير الأهداف بالأسلحة التقليدية أو أسلحة الدمار الشامل مما ينبئ بتصاعد السباق في ميدان الروبوتات الفضائية العسكرية.

لم تعد القوة ترتكز على السيطرة على الموارد المادية، بل على القدرة على تحليل البيانات والتنبؤ واتخاذ القرار بسرعة وفاعلية. من هنا، فإن فهم تأثير الذكاء الاصطناعي على العلاقات الدولية لم يعد خيارًا وترفًا فكريًا بل ضرورة أمنية ودبلوماسية وعسكرية. فقد أحدث الذكاء الاصطناعي ثورة في أدوات الدبلوماسية وآليات عملها. فخوارزميات تحليل البيانات الضخمة أصبحت تساعد صانعي القرار في التنبؤ بسلوك الدول والمجتمعات، واكتشاف الأنماط في المفاوضات والأزمات قبل وقوعها. كما بدأت وزارات الخارجية في الدول باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في رصد الرأي العام الدولي، وتحليل اتجاهات التواصل الاجتماعي، وبناء سيناريوهات للردود المحتملة.[٦]

وتشير تقارير مؤسسات فكرية دولية إلى أن استخدام الذكاء الاصطناعي في الدبلوماسية يمنح الدول ميزة تنافسية في إدارة الأزمات، كما في حالة الحرب الروسية–الأوكرانية إعلاميًا، حيث استُخدمت خوارزميات تحليل المشاعر لفهم الرأي العام الأوروبي. ومع ذلك، تطرح هذه الثورة تحديات أبرزها إضعاف البعد الإنساني في التواصل الدبلوماسي وتحويل العلاقات الدولية إلى شبكة من التحليلات الرقمية الباردة التي قد تُقصي الحدس والخبرة البشرية.(٧)

- الاستراتيجية العسكرية والامن القومي في تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

ان التطور في أنظمة القيادة والسيطرة، والطائرات المسيّرة، والتحليل الاستخباري، والأسلحة الذاتية يعيد تعريف مفهوم الردع ، اذ أصبحت الجيوش الحديثة تعتمد على أنظمة الذكاء الاصطناعي التي تمنحها تفوقًا في سرعة اتخاذ القرار والدقة في الضربات. كما ويعيد الذكاء الاصطناعي رسم ملامح النظام الدولي على أسس جديدة. فبدل الثنائية القطبية الكلاسيكية أو الأحادية الأمريكية بعد الحرب الباردة، أصبح العالم يتجه نحو تعددية قطبية رقمية.اذ تُعد الصين والولايات المتحدة اليوم قوتين مركزيتين في سباق الذكاء الاصطناعي، لكن دولًا أخرى كالهند، والاتحاد الأوروبي وكوريا الجنوبية بدأت تقترب من مراكز الابتكار العالمي. بمعنى إن الذكاء الاصطناعي ليس مجرد تكنولوجيا بل أداة لإعادة هندسة النظام الدولي، حيث تندمج القوة الصلبة بالقوة الناعمة ضمن ما يمكن تسميته القوة الخوارزمية.(٨)

من هنا نجد أن الذكاء الاصطناعي أصبح مؤشرًا رئيسيًا لتوزيع القوة الدولية، وأن من يمتلك خوارزميات أكثر تطورًا وبيانات أوسع سيحظى بنفوذ سياسي واقتصادي أكبر. بمعنى فإن الذكاء الاصطناعي ليس مجرد تكنولوجيا بل أداة لإعادة هندسة النظام الدولي، حيث تندمج القوة الصلبة بالقوة الناعمة ضمن ما يمكن تسميته القوة الخوارزمية.

المحور الثاني :التحولات الاقتصادية في عصر الذكاء الاصطناعي

شهد الاقتصاد العالمي منذ القرن التاسع عشر تحولات جذرية بدأت بالثورة الصناعية الأولى التي أدت إلى ظهور المصانع، وتطوير وسائل النقل والطاقة، ما أسهم في زيادة الإنتاجية وتوسع الأسواق .ثم جاءت الثورة الصناعية الثانية التي ركزت على الكهرباء والكيماويات والآلات الثقيلة، وأسست لعصر اقتصادي جديد مرتبط بالمدن والنمو الصناعي .وشهد القرن العشرون أزمات اقتصادية كبرى مثل الكساد الكبير عام1929 ، الذي دفع الدول إلى إعادة التفكير في دور الدولة في الاقتصاد.(٩)

بعد الحرب العالمية الثانية، ظهر النظام الاقتصادي الدولي الجديد عبر مؤسسات مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وتم اعتماد اتفاقيات بريتون وودز لتثبيت العملات وتسهيل التجارة الدولية .وفي أواخر القرن العشرين، فرضت العولمة الاقتصادية نفسها، مع تنامي التجارة العالمية، تحرك رؤوس الأموال بشكل عالمي، وتوسع الشركات متعددة الجنسيات، مع ما صاحب ذلك من فجوة بين الدول المتقدمة والنامية.(١٠)

ومع تسارع وتيرة التقدم التكنولوجي يشهد العالم تحوّلات اقتصاديّة كبرى تستدعي التوقف عندها، وذلك بفعل التطور السريع لتقنيات الذكاء الاصطناعي(AI) ، هذا الابتكار الذي يعدّ أحد أهم الابتكارات التي من شأنها التأثير على مختلف قطاعات الاقتصاد. يشمل هذا التأثير اليد العاملة، والإنتاج والإنتاجيّة، وذلك بدءًا من تطوير الكفاءة التشغيلية، مرورًا بخلق وتغيير سوق العمل وطبيعة الوظائف، بيد أنّ هذا الذكاء الذي يفتقد للحس البشري يطرح مجموعة من التحديات التي تفرض نفسها على المجتمعات والاقتصادات، ما يستدعي توازنً بين إيجابياته وسلبياته. عبر قدرته الفائقة على تحليل البيانات بسرعة وبدقة عالية، يمكن للذكاء الاصطناعي خلق فِكَرة جديدة، وتوقعات ترتكز على أنماط سابقة. فضلا عن أنّه لا يقتصر على قطاع واحد فقط، بل يمتد ليشمل الصناعات التحويليّة، والصحيّة، والماليّة، وحتى النقل والمواصلات.(١١)

كما أدّى الذكاء الاصطناعي إلى ظهور وتطوير بعض المفاهيم الاقتصاديّة، مثل الاقتصاد الرقمي، وتحليل البيانات الضخمة وترجمتها لاستخدامها في توقع متغيرات السوق المحليّة والعالميّة، وذلك عبر الاقتصاد القياسي، الذي يستخدم قواعد بيانات ضخمة ليتنبأ بالأوضاع الاقتصاديّة في المستقبلَ.[١٢]

١-تأثير الذكاء الاصطناعي على سوق العمل

مع هذه النقلة النوعيّة للذكاء الاصطناعي وتوسُّعه في مختلف المجالات، نشهد تغيّرًا لطبيعة سوق العمل بشكل ملحوظ. تشير التوقعات بأن يُحدث الذكاء الاصطناعي تغييرًا جذريًا في العديد من الوظائف التقليديّة، حيث يتوقع أن تحل المكْنَنة محلّ العمالة البشريّة في العديد من المجالات، وهو ما يطرح تحديات تتعلق بتأهيل اليد العاملة البشريّة، وإعادة تدريبها لتتناسب مع متطلبات السوق الجديد. من جهة أخرى، يوفر الذكاء الاصطناعي وظائف جديدة تتطلب مهارات عالية في مجالات البرمجة، وتحليل البيانات، وهندسة الروبوتات والبرمجيات. لذلك فإنّ مستقبل الاقتصاد يعتمد إلى حد لا بأس به على قدرة المجتمعات على التكيف مع هذه التغيرات، من خلال الاستثمار والتدريب في مجال الذكاء الاصطناعي.[١٣]

٢-التحديات الأخلاقيّة والاقتصادية للذكاء الاصطناعي

رغم الفوائد الكبيرة التي يمكن أن يوفرها الذكاء الاصطناعي للاقتصاد، فإنّه يطرح جملة من التحديات، من أبرزها دور الذكاء الاصطناعي في توزيع الثروة، والمساواة بين مختلف العناصر المكونة للاقتصاد، فالشركات العالميّة الكبرى التي تمتلك موارد ضخمة يمكنها تبنّي وتطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي، وهو ما يجعلها أكثر هيمنة على السوق، و بالتالي يزيد من فجوة التفاوت الاقتصادي بين الشركات الكبرى والشركات الصغيرة والمتوسطة خاصة، وبين الدول المتقدمة والدول النامية عامة. كما تثير قضايا الأمن وانتهاك الخصوصيّة مخاوف كبيرة؛ فاستخدام الذكاء الاصطناعي لبيانات ومعطيات شخصيّة قد يعرّضها للتهكير والقرصنة الإلكترونيّة إذا لم يتم بناء نظام أمن إلكتروني قوي، وسياسات تحكُّم لجعل الأمور دائمًا تحت سيطرة العقل البشري.[١٤]

ان العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والاقتصاد هي علاقة معقدة وأحيانًا متضاربة، تجمع بين الفرص الهائلة والتحديات الجسيمة، حيث يمكن أن يُحدث ذلك ثورة في مختلف الصناعات والقطاعات، لكن الأمر في الوقت نفسه يتطلب تفكيرًا معمّقًا وجديًّا حول كيفيّة مواجهة التحديات المتعلقة بسوق العمل، وتوزيع الثروة، دون نسيان الاعتبارات الأخلاقيّة لتحقيق المنفعة الكاملة من هذه التقنية، رغم التوقعات المتفائلة بشأن مستقبل الاقتصاد العالمي في ظل طفرة الذكاء الاصطناعي، فقد أظهر التطبيق العملي لتلك التقنيات بعض المعوقات والتحديات التي يمكن تحد من القدرة على تبني هذه التكنولوجيا على مستوى الدول والقطاعات الاقتصادية والشركات المختلفة.[١٥]

ولتحسين تأثير الذكاء الاصطناعي على النمو الاقتصادي، يُمكن اتباع العديد من السياسات والاستراتيجيات، بالتركيز على تعزيز الإنتاجية والابتكار والتبني الشامل لتقنيات الذكاء الاصطناعي، مع ملاحظة أن التحدي الرئيس يتمثل في تحقيق التوازن بين فوائد الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد والحاجة إلى حماية خصوصية وأمن الأفراد والمؤسسات. وقد وضعت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية عددًا من المبادئ في إطار تعظيم الأثر الاقتصادي الإيجابي للذكاء الاصطناعي مع الحد من المعوقات وتقليل المخاطر، وأسهمت العديد من

الدراسات مع هذه الرؤية الشاملة في وضع مقترحات لسياسات وإجراءات للعمل على تحسين أداء الذكاء الاصطناعي في النظام الاقتصادي العالمي.[١٦]

٣-الاستثمار في البحث والتطوير في مجال الذكاء الاصطناعي

يُعزز الاستثمار في تقنيات الذكاء الاصطناعي الابتكار ويُتيح فرص نمو جديدة في مختلف قطاعات التصنيع، والتمويل، والطاقة، حيث ينبغي على الحكومات النظر في تعظيم الاستثمار العام طويل الأجل، وتشجيع الاستثمار الخاص في مجال البحث والتطوير، لتحفيز الابتكار في مجال الذكاء الاصطناعي الذي يُركز على القضايا التقنية ويحافظ على القدرة التنافسية العالمية.[١٧]

٤-تعزيز منظومة رقمية شاملة داعمة للذكاء الاصطناعي

يجب على الحكومات العمل على تطوير وإتاحة منظومة رقمية شاملة، وديناميكية، مستدامة وقابلة للمشاركة، وتوفير إمكانية الوصول إليه، بما يوفّر بيئة موثوقة لاحتضان تطبيقات الذكاء الاصطناعي. وتشمل هذه المنظومة عناصر أساسية مثل البيانات، وتقنيات الذكاء الاصطناعي، والبنية التحتية للحوسبة والاتصال، إضافة إلى آليات تبادل المعرفة المتعلقة بالذكاء الاصطناعي، مع تفعيل آليات مبتكرة لدعم مشاركة البيانات بطريقة آمنة وعادلة وقانونية. كما يجب اتخاذ التدابير اللازمة لحماية خصوصية البيانات وأمنها، مع ضمان شفافية أنظمة الذكاء الاصطناعي ومسؤوليتها لمواجهة تحديات حماية الخصوصية والأمن.[١٨]

٥- تطوير رأس المال البشري ومهارات الذكاء الاصطناعي

يُساعد رفع مهارات القوى العاملة للعمل جنبًا إلى جنب مع أنظمة الذكاء الاصطناعي، وإنشاء برامج تعليمية مُصممة خصيصًا لكفاءات الذكاء الاصطناعي، على تحقيق فوائد الإنتاج وتقليل مخاطر هجرة العمالة. وتوصي منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بالتعاون بين الحكومات وجميع الأطراف المعنية بالاستعداد لتغيرات عالم العمل والمجتمع، وتحسين مهارات الأفراد في التعامل مع تقنيات الذكاء الاصطناعي. كما وعلى الحكومات العمل بشكل وثيق مع جميع الأطراف المعنية لتعزيز استخدام الذكاء الاصطناعي في أماكن العمل بشكل مسؤول، وتحسين سلامة العمال وجودة الوظائف والخدمات العامة، وتشجيع روح المبادرة والإنتاجية، وضمان توزيع فوائد الذكاء الاصطناعي بشكل عادل وشامل.[١٩]

وللحد من مخاطرها على سوق العمل، تحتاج حكومات بعض الدول إلى تبني استراتيجية شاملة تتضمن دمج مهارات التفكير النقدي والعلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات في مناهج التعليم، وتعزيز مفهوم التعلم المستمر، إضافة إلى إنشاء مراصد وطنية لرصد اتجاهات الأتمتة والمهن الجديدة واحتياجات المهارات، لتوجيه برامج التدريب واستراتيجيات التوظيف، ودعم الشركات الناشئة والصغيرة والمتوسطة عبر الحوافز الضريبية والمنح، وتشجيع الشراكات بين القطاعين العام والخاص، إلى جانب تطوير شبكات أمان اجتماعي مرنة، مثل التأمين ضد البطالة والتحويلات النقدية المشروطة، لحماية العمال المتضررين.[٢٠]

٦- استهداف القطاعات الاستراتيجية بتطبيقات الذكاء الاصطناعي

التركيز على القطاعات ذات الإمكانات العالية للذكاء الاصطناعي، مثل الطاقة وذلك من خلال تعزيز استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحسين الإنتاج والتوزيع، وقطاع التصنيع وتشجيع المصانع الذكية، وكذلك قطاع التمويل عن طريق الاهتمام بدور الذكاء الاصطناعي في إدارة المخاطر، إضافة إلى قطاعات الصحة، والبنية التحتية الحضرية، لتحقيق فوائد اقتصادية فعّالة.[٢١]

وعليه، فإن صعود الذكاء الاصطناعي يمثل تحديًا وفرصة في آن واحد لدول المنطقة. فالدول التي تبادر بالاستثمار في رأس المال البشري، وتعزيز الابتكار، وصياغة سياسات عمل مرنة، ستنجح في تحويله إلى محرك للنمو الشامل. أما التأخر أو غياب التحرك فقد يؤدي إلى ارتفاع البطالة وتفاقم عدم المساواة والركود الاقتصادي.

المحور الثالث: التحولات الاجتماعية في عصر الذكاء الاصطناعي

يسعى الذكاء الاصطناعي إلى تحسين المهارات الاجتماعية من خلال تطوير نماذج تعتمد على الذكاء العاطفي الاصطناعي الذي يساعد الأنظمة الذكية في فهم مشاعر الناس والتفاعل بفعالية معهم، حيث يسمح لأجهزة الكمبيوتر بقراءة المشاعر من خلال تحليل البيانات.

- استخدام الذكاء الاصطناعي في تحليل التفاعل الاجتماعي

يحمل الذكاء الاصطناعي والمهارات الاجتماعية دوراً كبيراً في تحليل التفاعلات الاجتماعية عن طريق الأنظمة التفاعلية المتقدمة، حيث يعتمد ذلك على معالجة البيانات الكبيرة لفهم الأنماط السلوكية وتحسين مهارات التواصل. على سبيل المثال، يمكن لأجهزة الذكاء الاصطناعي مراقبة المحادثات وتقديم ملاحظات حول مستوى الإنصات أو طريقة التعبير وهذا يسهم في التدريب على المهارات الشخصية. إن هذه التحليلات مفيدة في بيئات العمل والتعلم، لانها تسهم في تعزيز التعاون بين الفرق وتحسين القدرات الاجتماعية للطلاب. كما إن دمج نماذج الذكاء الاصطناعي في تحليل التفاعلات الاجتماعية يُحدث ثورة في خدمة العملاء، حيث يوفر أدوات تعزز الكفاءة ورضا العملاء من خلال تفاعلات مخصصة مبنية على رؤى متقدمة حول سلوك العملاء واحتياجاتهم.[٢٢]

- الذكاء الاصطناعي والمهارات الاجتماعية

رغم الإمكانيات الواعدة للعلاقة بين الذكاء الاصطناعي والمهارات الاجتماعية، إلا أن هذا المجال يواجه تحديات متعددة، من أبرزها: [٢٣]

- يعتمد الذكاء الاصطناعي على البيانات التي قد لا تعكس تمامًا التعقيدات العاطفية والفروق الثقافية.
- يثير جمع البيانات الشخصية وتحليلها مخاوف تتعلق بالخصوصية، مما يستدعي تحقيق توازن دقيق بين الفعالية وحماية المعلومات الشخصية للمستخدمين.
- توجد مخاوف من أن يؤدي الاعتماد المفرط على الأنظمة الآلية إلى تقليل قدرة الأفراد على تطوير مهاراتهم الاجتماعية والتفكير المستقل واتخاذ القرارات دون تدخل الذكاء الاصطناعي.
- تمثل التفاعلات غير اللفظية بُعدًا معقدًا في المهارات الاجتماعية، إذ تشمل الإيماءات، تعبيرات الوجه، ولغة الجسد، والتي تعتبر أدوات تواصل أساسية يصعب على الذكاء الاصطناعي تحليلها بدقة عالية.

- مستقبل تطوير الذكاء الاصطناعي في تعزيز المهارات الاجتماعية

يتجه مستقبل الذكاء الاصطناعي والمهارات الاجتماعية نحو تحقيق تحولات جذرية في كيفية تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض ومع التكنولوجيا، فمن خلال استخدام نماذج تعلم الآلة المتقدمة، يمكن للأنظمة الذكية تحليل تفاعلات المستخدمين. اذ يسمح الذكاء الاصطناعي بتقديم ملاحظات دقيقة حول سلوكيات التواصل، مثل مستوى الإنصات، والتعبيرات الوجهية، وكيفية إدارة المحادثات. هذا سيمكن الأفراد من تلقي تدريبات فورية لتحسين مهاراتهم الاجتماعية، مما يسهم في تعزيز الثقة بالنفس والقدرة على التفاعل بفعالية . كما ويمكن للذكاء الاصطناعي أن يلعب دورًا في تعزيز التواصل بين الثقافات المختلفة، من خلال توفير أدوات تفاعل تساعد الأفراد على تجاوز الحواجز اللغوية والاجتماعية.[٢٤]

إن الذكاء الاصطناعي لن يتمكن غالباً من الشعور بالعواطف بنفس الطريقة التي يشعر بها البشر، إلا أنه يتعلم محاكاة العواطف إلى الحد الذي قد نعجز فيه قريبًا عن معرفة الفرق. وفي هذا السياق، إن الذكاء الاصطناعي والمهارات الاجتماعية مرتبطان بشكل وثيق، حيث يمكن أن يسهم الذكاء الاصطناعي في تعزيز المهارات الاجتماعية من خلال توفير ملاحظات فورية وتوجيهات لتحسين التواصل الإنساني. ومع ذلك، يجب مراعاة المخاوف المتعلقة بالاعتماد المفرط على التكنولوجيا في التفاعلات الإنسانية، حيث إن الاستخدام المفرط للذكاء الاصطناعي قد يحد من التطور الطبيعي للمهارات الاجتماعية. لذا، يجب تحقيق توازن بين الاستفادة من هذه التكنولوجيا والتفاعل الإنساني الفعلي لضمان تنمية المهارات الاجتماعية بشكل صحي ومثمر.[٢٥]

تبقى العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والمهارات الاجتماعية قصة طويلة من التقدم والتطور، فمن تحليل التفاعلات الاجتماعية إلى تحسين المهارات وتعزيز التفاعلات الإنسانية هناك مستقبل واعد يشير إلى مفاجآت إيجابية لم تكن في الحسبان.

المحور الرابع : التغيرات الثقافية في عصر الذكاء الاصطناعي

في عصر تهيمن فيه المنصات الرقمية الكبرى مثل "يوتيوب" و"نتفليكس" و"سبوتيفاي"، لم يعد المحتوى الثقافي يتنقل بين الناس بحرّية كما كان يحدث في الأسواق والمكتبات والمسارح، بل لا يصل حتى إلى الجمهور بطريقة عشوائية أو طبيعية كما كان في الماضي. بدلاً من ذلك، فالخوارزميات تتحكم اليوم في ما نراه ونسمعه ونقرأه، حيث تحلل سلوك المستخدمين وتقترح المحتوى الذي يتوافق مع اهتماماتهم السابقة، وبالتالي، توجه اختياراتنا وفقًا لأنماط استهلاكنا السابقة. هذه الظاهرة تخلق "فقاعات ثقافية" ، تجعلنا محاصرين في دوائر محدودة من الاهتمامات، فتختفي الأصوات الأقل شهرة أو الأقل تمويلًا، ويصبح التعدد اللغوي والثقافي في خطر الانقراض.[٢٦]

حين بدأ الذكاء الاصطناعي بمحاكاة الأعمال الفنية، كان يُنظر إليه على أنه أداة تدعم الفنانين وتساعدهم على تحقيق رؤى جديدة. اليوم، أصبح الذكاء الاصطناعي قادرًا على تأليف الموسيقى، وكتابة النصوص، وإنشاء اللوحات الفنية وحتى إنتاج الأفلام القصيرة. ولكن مع تطور هذه الأنظمة، بدأ السؤال يأخذ منحى أكثر

تعقيدًا: هل يبقى الفن فنًا حين تنتجه الآلات؟ وهل سيصبح الفنان والمبدع مجرد مراقب بينما تُنجز الآلات العمل؟ أم أن الذكاء الاصطناعي سيظل أداة مساعدة تعزز من إبداع الإنسان بدلاً من أن تحل محله؟ للاجابة على هذه الاسئلة نجد ان هناك فرق جوهري بين الإبداع الإنساني والإنتاج الخوارزمي. فالإبداع البشري مرتبط بالتجربة الذاتية وبالمشاعر وبالتاريخ الشخصي ، وبالمعاناة والأمل والتساؤلات الوجودية. بينما يعتمد الذكاء الاصطناعي على تحليل الأنماط وإعادة إنتاجها، دون أن يختبر لحظة إلهام، أو يعاني شكوك المبدع، أو يعيش تجربة عاطفية تترك أثرًا في عمله. هذا لا يعني أن الذكاء الاصطناعي يجب أن يُقصى من المشهد الثقافي، بل يجب أن يكون أداة في يد الفنان، وليس بديلًا عنه. وهنا يأتي دور السياسات الثقافية التي يجب أن تضمن عدم تحول التكنولوجيا إلى منافس غير عادل للمبدعين، وأن تحافظ على حقوقهم في مواجهة عصر تتحكم فيه الآلات بالإنتاج الثقافي[٢٧].

الخاتمة

بات الذكاء الاصطناعي يفرض نفسه ويتحكم في الإنسان تدريجياً رغم أنه من ابتكاره في الأساس. ولابد أن يتم وضع حدود للبرامج الخاصة بالذكاء الاصطناعي حتى لا تؤثر على الإنسانية بالسلب. فللذكاء الاصطناعي مزايا وعيوب، فيمكن أن يساعد في حماية حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية وحكم القانون، لكنه من ناحية أخرى يمكن أن يمثل تهديداً كبيراً من خلال استخدامه في التمييز ضد فئات معينة في المجتمع، والتأثير على العملية الانتخابية، وانتهاك حقوق الملكية الفكرية، والتعدي على الكرامة الإنسانية والاستقلالية والذات الإنسانية، واختراق الخصوصية، مع إمكانية الحصول على المعلومات، وقد حدثت بالفعل انتهاكات جمة من جراء استخدام الذكاء الاصطناعي في مناطق الصراعات المسلحة خلال الآونة الأخيرة.

أن الذكاء الاصطناعي أصبح قوة محركة رئيسة للابتكار في القطاعات الاقتصادية كافة، من الزراعة والصناعة والاتصالات إلى التسويق والنقل والقطاع المالي؛ فقد أسهم في تحسين كفاءة الأعمال، ورفع الإنتاجية، وخفض التكاليف، وتعزيز القدرة التنافسية، فضلًا عن إحداث تحولات نوعية في طرق العمل التقليدية. ومع تنامي الاعتماد على تطبيقاته يتوقع أن يتعاظم تأثيره في المستقبل القريب، بما يفتح المجال أمام فرص واسعة للنمو الاقتصادي المستدام، ويؤكد في الوقت ذاته على الحاجة إلى تبني استراتيجيات متوازنة تراعي الأبعاد التقنية والتنظيمية.

يمثل الذكاء الاصطناعي قوة مؤثرة لا يمكن تجاهلها، وهو ليس مجرد تطور تقني آخر، بل هو ثورة صناعية معرفية تعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والآلة. إن التحولات الكبرى التي يفرضها تتطلب منا إعادة التفكير في الأطر التنظيمية والأخلاقية والاجتماعية القائمة. إن المستقبل الذي نرسمه في عصر الذكاء الاصطناعي لن يتحدد بالضرورة من خلال التكنولوجيا نفسها، بل من خلال الخيارات البشرية التي نتخذها اليوم. يجب أن يكون الهدف النهائي هو تسخير هذه التكنولوجيا لخدمة الإنسانية جمعاء، وضمان مستقبل مستدام وعادل وشامل.

التوصيات

لضمان إدارة هذه التحولات الكبرى بنجاح وتحقيق التوازن بين الابتكار والمخاطر، نوصي بما يلي:

- يجب وضع قوانين ومعايير عالمية لحوكمة الذكاء الاصطناعي، تركز على المساءلة والشفافية والإنصاف، مع الأخذ بعين الاعتبار الضرورات السيادية والكفاءات الوطنية.
- يتطلب العصر الجديد إعادة تشكيل أنظمة التعليم والتدريب لتزويد الأجيال القادمة بالمهارات اللازمة للتعامل مع التغيرات في سوق العمل، بما في ذلك التفكير النقدي والتعاطف والقدرة على التعلم المستمر.
- لا يمكن لأي دولة أو منظمة بمفردها مواجهة تحديات الذكاء الاصطناعي. لذا، يعد التعاون بين الحكومات والقطاع الخاص والأكاديميين والمؤسسات البحثية أمرًا حيويًا لإنشاء معايير وأطر عمل عالمية منسجمة.
- يجب أن تتضمن فرق تطوير الذكاء الاصطناعي تنوعًا لضمان تحديد التحيزات المحتملة في البيانات والخوارزميات وتجنبها، ودمج ضمانات الخصوصية والأمن في صميم التصميم.
- من الضروري إجراء المزيد من الأبحاث حول الآثار الاجتماعية والنفسية للذكاء الاصطناعي، لضمان معالجة قضايا مثل تراجع التفاعلات الأسرية والاعتماد المفرط على التكنولوجيا.

إن التكيف مع هذه التحولات ليس خيارًا، بل ضرورة. والمستقبل يعتمد على القدرة على توجيه مسار الذكاء الاصطناعي نحو خدمة البشرية.

المصادر

١- سعد حقي توفيق، مباديء العلاقات الدولية، المكتبة القانونية، ط٥، بغداد، ٢٠١٠، ص ٤٢ – ٤٣.

٢- المصدر السابق، ص ٨٧.

٣- تيري ل. ديبل، استراتيجية الشؤون الخارجية منطق الحكم الأميركي، ترجمة د. وليد شحادة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣٦٢.

٤- واثق علي الموسوي، الذكاء الاصطناعي، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٩، ص ٢١٥.

٥- كريستيان يوسف، المسؤولية المدنية عن فعل الذكاء الاصطناعي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٢٢، ص٤٨

٦-https://academic.oup.com/spp/article/٥١٦١٢١٥/٣٦٩/٣/٤٦

٧-https://almrj/.com/what-is-chatgpt٣

٨-واثق الموسوي، المصدر نفسه،ص٢٢٣

٩-) روي سميث، عماد الأنيس، كريستوفر فاراندز، الاقتصاد السياسي الدولي في القرن الحادي والعشرين قضايا معاصرة وتحليلات، ترجمة غزوة يوسف العرفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ٢٠١٩، ص ٤٤٣.

١٠- المصدر نفسه، ص ٤٦٥.

١١-https://democraticac.de/?p=١٠٦٨١٩

١٢-اديب قاسم الشندي، سوق الطاقة العالمية في ظل التطور التكنولوجي، مجلة الكوت للعلوم الادارية والاقتصادية ، العدد ٣٢،واسط، ٢٠١٩،ص٦٧

١٣-عبد المنعم هبة،واسماعيل محمد، الانعكاسات الاقتصادية للثورة الصناعية الرابعة ، صندوق النقد الدولي، ٢٠٢١،ص٣٨

١٤-
https://www.aljazeera.net/ebusiness/٢٠٢٤/٧/٥-%D٨%A٩%D٨%AB%D٨%٨٨%D٨%١B-%D٨%٩A
%D٨%٧A%D٨%٧A%D٨%٨٤%D٩%٧B%D٨%٥B%D٨%٧A%D٨%٨٦%D٩%٧B%D٨%٧A%D٨%٨٣%D٩%٠B%D٨%٧A%D٨-١
%D٨%AA%D٨%٣D%٨%AB%D٨%١B-%D٨%A٨%D٨%AF%D٨%٨٢%D٩%٧A%D٨%٧A%D٨%٥B%D٨%٧A%D٨%٨٤%D٩%٧A%D٨%٨٨%D٩%٨٤%D٩%٨٥%٠/٥١٢٨٥٠

١٥- المصدر نفسه

١٦- https://aawsat.com/%D٨%D٩%٨٤%D٩%٨٨%D٩%٨٥%٠/٥١٢٨٥٠

١٧-عبد السلام محمد رائد، تطورات الاستخدام الاقتصادي للذكاء الاصطناعي،مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، العدد ٧٧،٢٠٢١،ص٨٩٣

١٨- المصدر نفسه

١٩- ابو بكر خوالد، تطبيقات الذكاء الاصطناعي كتوجه حديث لتعزيز تنافسية منظمات الاعمال ، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ٢٠١٩، ص١٤

٢٠- المصدر نفسه، ص١٥

٢١- المصدر نفسه، ص١٨

٢٢-محمد الخزامي،دور الذكاء الاصطناعي في العلوم الاجتماعية والانسانية،مجلة سيمنار،العدد٢، المجلد ١، ٢٠٢٣، ص١-٣٥

٢٣- المصدر نفسه

٢٤- https://democraticac.de/?p=١٠٦٩٨١

٢٥- المصدر نفسه

٢٦-https://l.facebook.com/l.php?u=https%٣A%٢F%٢Fdrive.google.com%٢Ffile%٢Fd%٢F١q_Fq

٢٧- المصدر نفسه.